الإخلاص

وأثره في قبول الأعمال

أ. د. عبدالله بن محمد الطيار

www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإخلاص وأثره في قبول الأعمال

تأليف

فضيلة الدكتور/ عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

البداية

لا بد لكل عمل ليكون مقبولاً بإذن الله أن يتوفر فيه شرطان:
الأول: أن يكون خالصاً لله تعالى، وصدق الله العظيم ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.
الثاني: أن يكون صواباً على وفق ما شرعه الرسول ﷺ القائل: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))؛ رواه مسلم.

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ * وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًا﴾[3].

وبعد:

فتلبية لرغبة المجلس الأعلى للإعلام قمت بكتابة هذا البحث، بعنوان الإخلاص والفاعلية لما لهذا الأمر من أهمية خاصة، حيث أن الإخلاص هو أصل الدين، وبدونه لا تقبل الأعمال.

وصدق أحد العلماء وهو يقول: (وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلاَّ، فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك....)، والناس اليوم على وجه الأرض على اختلاف عقائدهم، ودياناتهم، وتعدد رغباتهم يقومون بأعمال وتصرفات كثيرة، ظانين أنَّ فيها السعادة، ونسوا أو تناسوا أنَّ الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم وموافقاً لشرعه الحكيم.

وكأني أنظر إلى الناس وقد ضعفت عزيمتهم، وقلت

---

[1] (?) آل عمران: 102.
[2] (?) النساء 1.
[3] (?) الأحزاب: 70- 71.

فاعليتهم، وركنوا إلى الخمول والكسل، فأصبحوا محتاجين إلى شحنه تُقَوِّي عزيمتهم، وتأخذ بأيديهم إلى طريق الصواب لقبول أعمالهم.
لذا عمدت إلى الكتابة في هذا البحث، علَّها أن تكون خطوة مباركة على طريق العلم.
وقد تحدثت في هذا البحث عن الإخلاص وأهميته، وعلاماته، وثمراته، ثم ذكرت نبذة مختصرة عن الرياء وعلاجه لما له من خطر عظيم على الأعمال. ثم عرجت بالحديث عن الفاعلية، وكيف يكون المسلم عنصراً فعالاً في المجتمع الذي يعيش فيه.
وفي الختام أزجي خالص شكري وتقديري للمجلس الأعلى للإعلام ممثلاً في رئيسه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود الذي أولاني هذه الثقة في الكتابة حول هذا الموضوع الهام.
وأسأل الله جل وعلا أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وفي السر والعلن، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو محمد/عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

الزلفي في ضحوة الاثنين: 25/ 3/ 1426هـ

الإخلاص ودوره في الفاعلية

تعريف الإخلاص لغة:

الإخلاص لغة : النجاة، خلص الشيء أي نجا وسلم من كل نشب. والمخلص الذي وحَّد الله تعالى خالصاً، ولذلك قيل لسورة قل هو الله أحد: سورة الإخلاص، لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله . وكلمة الإخلاص هي كلمة التوحيد[1].

وقيل الخالص: الذي زال عنه شوبه الذي كان فيه فصار صافياً[2].

ويأتي الإخلاص بمعنى الاختصاص، فكما يقال: استخلص الشيء لنفسه أي استخص نفسه به، فكذلك إخلاص العمل لله، أن تخص به الله دون غيره[3].

تعريف الإخلاص اصطلاحاً:

لقد ذكر العلماء معاني كثيرة للإخلاص، لكن أكثرها شمولاً هو قول أبي محمد سهل بن عبد الله التستري الذي يقول فيه: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركاته وسكناته في سرِّه وعلانيته لله تعالى وحده، لا يمازجه شيء لا هوى ولا نفس، ولا دنيا[4].

وقال غيره:

الإخلاص: إفراد الله تعالى بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر، من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق أو معنى آخر سوى التقرب إلى الله تعالى.

أدلة من القرآن والسنة تحث على الإخلاص

أولاً _ من القرآن:

قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ

---

[1] (?) لسان العرب 7/26 باب الصاد فصل الخاء مادة خلص.
[2] (?) تاج العروس 9/272 باب الصاد فصل الخاء مادة خلص.
[3] (?) القاموس المحيط 2/301 باب الصاد فصل الخاء مادة خلص.
[4] (?) المجموع شرح المهذب 1/17.

الْقَيِّمَةِ[1].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: مخلصين له الدين، أي مخلصين له العبادة، ومنه قوله تعالى:قُلْ إِنِّي أُمِـرْتُ أَنْ أَعْبُـدَ اللَّهَ مُخْلِصـاً لَـهُ الـدِّينَ[2] وفي هـذا دليل على وجوب النية في العبـادات، فـإن الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره [3].

ومعنى الآية: أي عبـادة الله وحـده، وإخلاص الـدين لـه، والميل عن الشرك وأهلـه، وإقـام الصـلاة، وإنفـاق للمـال في سـبيل الله وهو الزكـاة، فمن حقق هـذه القواعد فقد حقق الإيمــان، كما أمر به أهل الكتــاب، وكما هو دين الله على الإطلاق، دين واحد، وعقيدة واحدة.

وقال تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَـاةَ لِيَبْلُـوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَـنُ عَمَلاً وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْغَفُـورُ[4]. قـال الفضـيل بن عيــاض: هو أخلصه وأصــوبه. قــالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صــواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصـاً لم يقبـل، حـتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون للـه، والصـواب أن يكون على السنة[5]. ثم قرأ قوله تعالى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً[6]، وقال تعالى: إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَـمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُـؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً[7].

وقال تعالى على لسان إبليس لعنه الله: قَالَ فَبِعِزَّتِـكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِـينَ[8]. وقـال تعـالى: وَقَـدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُـوا مِنْ عَمَـلٍ فَجَعَلْنَـاهُ هَبَـاءً مَنْثُـوراً[9]. وهي الأعمـال الـتي كـانت على غـير السـنة،

---

[1] (?) البينة: 5.
[2] (?) الزمر: 11.
[3] (?) لأحكام القرآن للقرطبي20/144.
[4] (?) الملك: 2.
[5] (?) ماج السالكين 2/93.
[6] (?) الكهف: 110.
[7] (?) النساء: 146.
[8] (?) ص: 83،82.
[9] (?) الفرقان: 23.

وأريد بها غير وجه الله[1].

أحاديث من السنة تدعو إلى الإخلاص

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه))[2].

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (على المسلم أن يستحضر النية ولابد له في جميع العبادات من ثلاثة أشياء:

1_ نية العبادة.
2_ أن تكون لله.
3_ أنه قام بها امتثالاً لأمر الله[3].

وعلى المسلم أن يعلم أن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل. والعمل إذا كان لله تعالى قُبل، أمَّا ما كان لغير الله لا يحبط فحسب بل إنَّ صاحبه يلقى مصيراً مشيناً لأنه اتخذ مع الله شريكاً، وهذا ما يوضحه الحديث الذي رواه ضمرة عن أبي حبيب قال: قال رسول الله : ((إن الملائكة يرفعون عمل عبد من عباد الله فيستكثرونه ويزكونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله تعالى إليهم أنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إنَّ عبدي هذا لم يُخلص لي عمله فاكتبوه في سجين، ويصعدون بعمل عبد فيستقلونه ويحقرونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم أنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إن عبدي هذا أخلص لي عمله فاكتبوه في عليّين))[4].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الله لا يقبل

---

[1] (?) مدارج السالكين (2/93).
[2] (?) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم (2/1515ح 1907) و البخاري(1/2)كتاب كيف كان بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي.
[3] (?) شرح رياض الصالحين لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين(1/10).
[4] (?) تنبيه الغافلين (ص4).

من الأعمـال إلا ما كـان خالصـاً لوجهه الكـريم وإن قلت، فهذا القليل يضاعفه الله تعالى بفضله. قـال تعـالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[1]. ويـرد الأعمال التي لا يبتغي بها وجهه وإن كثرت.

ومن الأحـاديث الـتي تحث على الإخلاص من السنة الشريفة :

الحـديث الـذي رواه النسـائي عن أبي أمامة قـال: جـاء رجل إلى النـبي ﷺ فقـال: أرأيت رجلاً غـزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسـول الله ﷺ: (لا شـيء لـه) فأعادها ثلاث مرات، ويقول الرسول ﷺ (لا شـيء لـه) ثم قـال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهـه. وقد جـاءت أحـاديث في السـنة تـبين فضل المخلصـين ومنزلتهم وثوابهم منها:

ما رواه ثوبـان أن رسـول الله ﷺ قـال: ((طـوبى للمخلصـين أولئك مصـابيح الهـدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء))[2]. ومنها حـديث سـعد أبي وقـاص الـذي يقـول له النبي ﷺ فيه: ((.. إنك لن تُخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلاَّ ازددت به درجة ورفعة..))[3].

وحـديث أنس بن مالك ﷺ عن رسـول الله ﷺ قـال: ((من فـارق الـدنيا على الإخلاص لله وحـده وعبادته لا شـريك، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض))[4].

وحـديث زيد بن ثـابت رضي الله عنهقـال: قـال رسـول الله ﷺ: ((نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فرب حامل فقه غـير فقيه ثلاث لا يغل عليهن قلب امـرىءٍ مسـلم: إخلاص العمل للـه، والنصح لأئمة المسـلمين، ولـزوم جماعتهم))[5].

وحـديث أبي الـدرداء يبلغ به النـبي ﷺ قـال: ((من أتى

---

[1] (?) رواه النسائي (6/25) كتاب الجهاد باب من غزا يلتمس الأجر.
[2] (?) الترغيب للمنذري (1/54) وقال: رواه البيهقي.
[3] (?) رواه مسلم (2/1250 ح1628).
[4] (?) رواه ابن ماجه (1/27 ح70) وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ص7 برقم 12).
[5] (?) رواه ابن ماجه (1/84ح230) وصححه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (1/44،45 برقم 187).

فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه))[1].

والمرء مجازى على ما نواه وما أكنه في صدره. فالله سبحانه وتعالى مُطّلع على ما يخفيه العباد، وما يظهرونه قال تعالى: أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور*وحصل ما في الصدور[2].

ويدل على ذلك أحاديث كثيرة منها:

ما رواه أبو هريرة عن رسول الله قال: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[3].

قال فضيلة الشيخ محمد العثيمين في شرح هذا الحديث: (قد تجد الرجلين يصليان في صف واحد مقتديين بإمام واحد، يكون بين صلاتهما كما بين المشرق والمغرب، لأن القلب مختلف، أحدهما قلبه غافل، بل ربما يكون مرائياً والعياذ بالله يريد الدنيا، والآخر قلبه حاضر يريد بصلاته وجه الله واتباع سنة رسول الله [4].

وكما ذكرنا آنفا أن المرء يجازى بنيته، نرى عظيم رحمة الله تعالى تتجلى في الأحاديث الآتية: ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي قال: ((من هم بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، ومن هم بحسنة فعملها كُتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كُتبت))[5].

وعن معن بن يزيد قال: ((... وكان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد فجئت فأخذتها فأتيته بها فقال: والله ما إياك أردت فخاصمته إلى رسول الله فقال: لك ما نويت يا يزيد، ولك ما

1(?) رواه النسائي (3/258) كتاب قيام الليل باب من أتى فراشه وهو ينوي القيام فنام وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (1/316 برقم 1686).

2(?) العاديات: 9- 10.

3(?) رواه مسلم (3/1987 ح2564) برقم (34) من الباب.

4(?) شرح رياض الصالحين (ص52).

5(?) رواه مسلم (1/118 ح130).

أخذت يا معن)).[1][2]

شروط قبول العمل الصالح

1_ أن يكون فاعله مسلماً، موحداً، لا يشرك بالله شيئاً، مؤمناً بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء خيره وشره من الله تعالى.

وقد اشترط الله سبحانه وتعالى شرط الإسلام في جميع العبادات لقبولها. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[3].

وأوضح الله سبحانه وتعالى أركان الإيمان فقال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[4].

لذا يبين الله سبحانه وتعالى أنه لا يقبل من غير المؤمنين، لأن غير المؤمنين كالمنافقين والكفار لا يعملون الأعمال إلا رياءً وسمعة.

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[5].

2_ أن يكون ذلك العمل خالصاً لله ولا يراد به إلا وجه الله والدار الآخرة فإذا اختل شرط الإخلاص، وقصد به غير الله تعالى أصبح العمل رياءً وشركاً. وهذا ما يوضحه الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: ((رُبَّ صائم ليس من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس من قيامه إلا السهر)).[6]

---

[1] (?) رواه البخاري (2/ 116) كتاب الزكاة باب إذا تصدق على ابنه وهو لا يشعر.

[2] (?) ومن أراد الاستفاضة في هذا الموضوع فليراجع كتاب شرح رياض الصالين في باب الإخلاص لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- إعداد وإخراج د. عبد الله الطيار.

[3] (?) آل عمران: 85.

[4] (?) البقرة: 285.

[5] (?) التوبة: 54.

[6] (?) رواه ابن ماجه (1/39 ح169) وقال الألباني في صحيح سنن ابن ماجه(1/282 برقم 1371):حسن صحيح.

فالصـــائم والمصـــلي إذا لن يبتغيا بعملهما وجه الله فلا ثواب لهما. والله سبحانه وتعالى يميز الأعمال يوم القيامة فما كان لله تعالى قُبِل، وما كان لغـير الله يُـرمى في نـار جهنم.

عن عبادة بن الصامت قال: (يجاء بالدنيا يــوم القيامة فيقال: ميزوا منها ما كان لله فيماز، ويـرمى سـائره في النَّار)[1].

كما روي عن بعض الحكمـــاء أنه قـــال: مثل من يعمل الطاعات للرياء والسـمعة، كمثل رجل خـرج إلى السـوق، وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل، ولا منفعة له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة[2]. كما قال تعالى: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً[3].

3_ أن يكون العمل وفق ما جاء به الشـرع الحكيم، في كتـاب اللـه، وسـنة رسـول الله ومقتضى فعل الصـحابة رضي الله عنهم أجمعين.

قال رسـول الله فيما روت عنه أم المؤمـنين عائشـة: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))[4]. وقـــــال : ((... فعليكم بسـنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهـدين عضوا عليها بالنواجذ...))[5].

علامات الإخلاص

إن للإخلاص علامات إذا وجدت في المسـلم، عـرف بها أنَّه مخلص منها:

1_ استواء المدح والذم من العامة. فالمسلم بعد قيامه بالعمل تجد أن مــدح النــاس له وذمهم إيــاه ســواء، لأنه ينتظر الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، الـذي ابتغى بوجهه الكريم هذا العمل. وهـذا هو مـيزان الإخلاص الـذي

---

[1] (?) الترغيب والترهيب (1/55) وقال الحافظ المنذري: رواه البيهقي عن شهر بن حوشب عنه موقوفاً.
[2] (?) تنبيه الغافلين (ص3).
[3] (?) الفرقان: 23.
[4] (?) رواه مسلم (2/1343، 1344 ح1718). برقم (18) في الباب.
[5] (?) رواه ابن ماجه (1/15،16ح42) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (1/13) برقم (40).

توزن به الأعمال، ويتميز به بعضها عن بعض. فالخطيب مثلاً إذا نزل من المنبر، وصلّى بالنَّاس، وانتهت الصلاة، ولم ينتظر أن يمدحه أحد من الناس، فذاك المخلص، بل يستوي عنده المدح والذم. لذا ترى حبات اللؤلؤ تنفرط من عقد لسانه الذكي قائلاً: يا أخي لا تشكرني أنا، ولكن اشكر الله ، الذي وفقني في المجيء إليكم، وأمدني بهذا العلم من عنده لأفقهكم في دينكم.

من هنا ترى أن المخلصين لا ينسبون ما هم فيه إلى أنفسهم، بل يرجعون الفضل كله إلى الله تعالى، ولا تُهمُّهم مقاييس البشر، بل هم يتضرعون إلى الله لأن يقبل منهم، ولكي لا تحبط أعمالهم، وأن يقيهم الله نار جهنم يوم القيامة.

قال تعالى على لسان هؤلاء المخلصين: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً[1].

2_ اقتضاء ثواب العمل في الآخرة:

بأن يريد المرء بهذا العمل، التقرب إلى الله تعالى، والفوز برضا الله تعالى عليه، ودخول الجنة بإذن الله تعالى، وَمنّه، وفضله.

لأن الطريق الوحيد للفوز برحمة الله ورضوانه، هو إخلاص العمل لله وحده. وإن من أعظم ما يفعله المخلص أن يستر عمله عن الناس جميعاً. بل الأعظم من ذلك أن يسدي المعروف إلى من أساء إليه، ثم يستر هذا المعروف، مقتدياً بخلق النبي الذي كان يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه.

حكم العمل إذا خالطه مع الإخلاص شيء آخر

بادىء ذي بدء: العمل الذي يراد به وجه الله تعالى مقبول، بل هو سبب للثواب.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ[2].

والعمل الذي لا يراد به إلا الرياء، فهو على صاحبه،

---

[1] (?) الإنسان: 9،10.
[2] (?) النحل: 128.

وليس لـه، ويكـون سـبباً للعقـاب. قـال تعـالى في حق المنـافقين المـرائين: ﴿إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ فِي الـدَّرْكِ الأَسْـفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِـدَ لَهُمْ نَصِـيراً﴾[1]. وهـذان القسـمان لا خلاف فيهما.

أما العمل المشـوب الممـتزج بشـوب الريـاء وحظـوظ النفس، فهو الذي فيه نظر، وهل الجزاء عليه بالثواب؟ أم بالعقاب؟ أم أنه لا يقتضي هذا ولا ذاك؟

نقول وبالله التوفيق:

إن كـان البـاعث على العمل الإخلاص، وأنه قد سـبق الرياء الذي عُرض للعبد بعد نيته المخلصة، فإن ثوابه على هـذا العمل بقـدر ما أخلص فيـه. ويكـون حكمه كمن قطع النية في أثناء العبادة وفسخها، فيترك استصحاب حكمها.

وإن كـان البعث على العمل الريـاء، ثم عـرض له أن يحول نيته لله تعالى، فهذا لا يحتسب له الثـواب على هـذا العمل، إلا من وقت تحويله النية لله. فإن كانت العبـادة لا يصح آخرها إلا بما صح به أولهـا، وجبت الإعـادة كالصـلاة. ولا يجب الإعادة في عبادة كالحج، فربما أحـرم عبـدٌ لغـير الله ثم قلب نيته لله عند الطـواف أو الوقـوف بعرفـات، فهذا لا يقبل منه عمله.

أما إذا امـتزج بالعمل مع الإخلاص حظ من حظـوظ النفس، كالكسب المـادي مثلاً، فإنه يثـاب بقـدر ما أخلص في هذا العمل، بل يضاعف الله تعـالى الحسـنة إلى عشر أمثالها، كالـذي يخـرج للحج ومعه تجـارة فهـذا يصح حجُّه، متى كان الحج هو المحرك الأصلي.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَـالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُـلِّ فَجٍّ عَمِيـقٍ (27) لِيَشْـهَدُوا مَنَـافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ..﴾[2].

وكالـذي يغـزو ويقصد الغـزو، والغنيمـة، على أن يكـون قصد الغنيمة على سـبيل التبـع، يحصل له الثـواب، ولكن ثوابه ليس كثواب من لا يلتفت إلى الغنيمة أصلاً[3].

---

[1] (?) النساء: 145.
[2] (?) الحج: 27- 28.
[3] (?) بتصرف يسير من إعلام المعوقين (2/182).

ثواب المخلصين في الدنيا والآخرة

بدأ الله سبحانه وتعالى حديثه في سـورة (النعم)[1] عن عـالم الملائكـة، ثم عـالم السـماوات والأرض، ثم عـالم البشـر، ثم عـالم الحيـوان، ثم عـالم النبـات، ثم عـالم الأفلاك، ثم عـــالم البحـــار، ثم ما في بـــاطن الأرض من خيرات، ثم أخبر عباده أنهم لا يسـتطيعون أن يعـدوا نعمه الـتي لا تحصـى. وإن من نعمه سـبحانه وتعـالى في هـذه السـورة أنه يجـازي عبـاده المخلصـين بـالخير في الـدنيا، ويوفي لهم أجورهم في الآخرة.

وقد ذكر الله سـبحانه وتعـالى في هـذا الأمر أربع آيـات في تلك السـورة: قـال تعـالى: ﴿ وَقِيـلَ لِلَّذِينَ اتَّقَـوْا مَـاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَـنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

وقـــال تعـــالى: ﴿وَالَّذِينَ هَـــاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْـــدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَـوِّئَنَّهُمْ فِي الـدُّنْيَا حَسَـنَةً وَلَأَجْـرُ الآخِـرَةِ أَكْبَـرُ لَـوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3].

وقال تعـالى: ﴿مَنْ عَمِـلَ صَـالِحاً مِنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنثَى وَهُـوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَـةً وَلَنَجْـزِيَنَّهُمْ أَجْـرَهُمْ بِأَحْسَـنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَـنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِـرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾[5].

وهـذا يـدل على عظيم رحمته سـبحانه وتعـالى، وكرمه لعباده، أنه يجازيهم بالخير في الـدنيا، ويحسن لهم الجـزاء أيضـاً في الآخـرة، المخلصـين منهم خاصـة، وقد ذكر لهم ذلك ليطمئنهم، ويثقوا فيما في يد الله أكثر من ثقتهم مما في أيديهم، عندما يعلمون أنهم سيوفون

أجورهم التامة يوم القيامة، بعدما أنعم الله عليهم من خـــيره العظيم في الـــدنيا، قـــال تعـــالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

---

[1] (?) النحل.
[2] (?) النحل: 30.
[3] (?) النحل: 41.
[4] (?) النحل: 97.
[5] (?) النحل: 122.

أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾[1].

ولقد ذكر رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في فضل المخلصين منها:

ما رواه ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء))[2].

وما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: ((من خرج حاجاً فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمراً فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازياً في سبيل الله فمات كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة))[3].

وقال ﷺ أيضاً: ((.. ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تضعها في فيِّ امرأتك))[4].

والعبد إذا تعلق بالدنيا وجعلها همه أعطته ظهرها، على العكس من الزاهد المخلص الذي يتعلق بالآخرة ويجعلها شغله الشاغل، يرى الدنيا وقد أتته راغمة، فسبحان الله على عظيم بلائه للعباد! ! !

ويجسد تلك الحقيقة حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه : ((من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة))[5].

وفي ثواب المخلصين يقول عمر بن الخطاب ﷺ : (فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله)[6].

فالمخلصون معهم الله لأنهم يقصدون بأعمالهم وجه

[1] (?) آل عمران: 185.
[2] (?) سبق تخريجه ص(17) رقم (1).
[3] (?) الترغيب للمنذري (2/178). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (3/208، 209) رواه الطبراني في الأوسط وفيه جميل بن ميمونة، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ووثقه ابن حبان.
[4] (?) رواه مسلم(2/1250، 1251 ح1628) برقم(5) في الباب.
[5] (?) رواه ابن ماجه (2/1375 ح1405) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (2/393 برقم 3313).
[6] (?) إعلام الموقعين (2/178).

اللـه، ومن كـان الله معه فلا يقـدر عليه أحـد، ومن ليس معه الله فلا ينفعه أحد.

وقد تحـــدث الإمـــام ابن تيمية رحمه الله عن الإخلاص مبيناً ثـواب المخلصـين ومـنزلتهم عند الله تعـالى، وسـوء عاقبة المرائين فقال: ((إذا كان العبد مخلصـاً، اجتبـاه ربه فيحيي قلبه، واجتذبه إليه فينصـرف عنه ما يضـاد ذلك من السـوء والفحشـاء، ويخـاف من حصـول ضد ذلك بخلاف القلب الــذي لم يخلص للـــه، فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق، فيهوي ما يسـنح لـه، ويتشـبث بما يهـواه كالغصن أيُّ نسيم من يعطفه أماله)).

فتـارة تجتذبه الصـور المحرمة وغـير المحرمـة، فيبقى أسـيراً عبـداً لمن لو اتخـذه هو عبـداً له كـان ذلك عيبـاً، ونقصـاً وذمـاً. وتـارة يجتذبه الشـرف والرئاسـة، فترضـيه الكلمـة، وتغضـبه الكلمـة، ويسـتعبده من يثـني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق.

وتارة يستعبده الدرهم والدينار، وأمثال ذلك من الأمـور التي تسـتعبد القلـوب، والقلـوب تهواها فيتخذ إلهه هـواه، ويتبع هواه بغير هدى من الله.

ومن لم يكن خالصـاً عبـداً له قد صـار قلبه معبـداً لربه وحده لا شريك لـه، بحيث يكـون الله أحب إليه من كل ما سواه، ويكـون ذليلاً لـه، خاضـعاً، وإلا اسـتعبدته الكائنـات، واستولت على قلبه الشياطين، وكـان من الغـاوين إخـوان الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشـاء ما لا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه)[1].

بذلك نرى البـون شاسـعاً، والفـرق كبـيراً بين المخلص والمرائي، فهل شمر للإخلاص المشـمرون؟ وأخـذوا بينهم وبين مهالك الريـاء الـتي ذكـرت آنفـاً وقايـة، ليـأمنوا من عذاب الله وغضبه يوم القيامة.

ثمرات الإخلاص

للإخلاص ثمرات كثيرة وفوائد جمَّة نذكر منها ما يلي:

1_ الإخلاص يوجد الــدافع عند المســلم للعمل والمبادرة

---

[1](?) مجموعة فتاوى ابن تيمية (10/216).

فالمخلص يعلم أن الذي سيجازيه بالخير على عمله الله سبحانه وتعالى، لذا هو يسعى جاهداً لإرضاء الله تعالى، والفوز بالجنة يوم القيامة، فتجده يحب العمل ويبادر به، والذي يدفعه إلى ذلك هو الإخلاص. لأن الذي يجتهد في الطاعات، ولا تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى لم تنفعه أعماله بغير إخلاص، بل إن ذلك يُعدُّ اغتراراً منه. وفي هذا المعنى يقول أحد الحكماء[1]: من عمل سبعة دون سبعة لم ينتفع بما يعمل:

أولاً: أن يعمل بالخوف دون الحذر، يقول: إني أخاف الله، ولا يحذر من الذنوب فلا ينفعه ذلك القول شيئاً.

ثانياً: أن يعمل بالرجاء دون الطلب، يقول: إني أرجو ثواب الله تعالى، ولا يطلبه بالأعمال الصالحة، فلا تنفعه مقالته شيئاً.

ثالثاً: النية دون القصد، كأن ينوي بقلبه أن يعمل بالطاعات والخيرات، ولا يقصد بنفسه لم تنفعه نيته شيئاً.

رابعاً: الدعاء دون الجهد، بمعنى أن يدعو الله تعالى أن يوفقه للخير ولا يجتهد هو في ذلك، لم ينفعه دعاؤه شيئاً، بل كان ينبغي عليه أن يسعى ويجتهد، ليوفقه الله تعالى، ويستجيب منه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]. أي الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقنهم لذلك[3].

خامساً: الاستغفار دون الندم يقول: أستغفر الله، ولا يندم على ما كان منه من الذنوب، لم ينفعه الاستغفار بغير الندامة.

سادساً: العلانية دون السريرة، أي يصلح أموره في العلانية ولا يصلحها في السر لم تنفعه علانيته شيئاً.

سابعاً: أن يعمل بالكد دون الإخلاص، فلا تنفعه أعماله بغير إخلاص. والمسلم لا يطلب الأجر إلا من الله تعالى. يقول الله تعالى مبيناً ذلك: ﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً

---

[1] (?) تنبيه الغافلين للسمرقندي(ص3، ص4).
[2] (?) العنكبوت: 69.
[3] (?) تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص4).

إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى[1]. فالداعي إلى الله مثلاً ليكون داعياً بحق، وليكون وارثاً نبوياً، وعالماً ربانياً، عليه أن يخلص في دعوته، لا يريد إلا نشرها في ربوع المعمورة واعتناق الناس للإسلام، اعتناقاً صحيحاً شاملاً من جميع جوانب الحياة. إذا رأى المنكر تغير وجهه وأنكره، لا يغضب لنفسه قط، بل يغضب للحق ويتمعر وجهه عندما تنتهك حرمات الله، فإذا به ينتصر للإسلام ابتغاء وجه الله، لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وليس من أجل الظهور، وحب المدح، وحظوظ النفس.

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما أسلم وبايع الرسول وعلَّمه الرسول ما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه هذا الدين الإسلامي الحنيف. ومن هذه الواجبات تبليغ دعوة الله ، والأخذ بأيدي الناس إلى طريق الهداية. فأخذ أبو بكر يبذل كل ما في وسعه تجاه هذا الأمر ولم يكن يبتغي من وراء ذلك رضا محمد بل كان يرجو رضا الله ورحمته.

لذلك كان ثابت العقيدة، قوي الإيمان، يوم أن مات رسول الله فخطب الناس قائلاً: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت[2].

ثم تلا هذه الآية قال تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ[3].

بينما وقف عمر بن الخطاب في وسط الناس يقول: والله ما مات رسول الله. ونرى أن أبا بكر لم يقف هذا الموقف ويذكر هذا الكلام إلا انتصاراً للحق، ولكي يؤصل في نفوس الناس أن الرسول بشر، ونهاية كل بشر الموت، فلقد أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه بذلك في

---

[1] (?) هود: 29.
[2] (?) تهذيب السيرة لعبد السلام هارون(ص342، ص343).
[3] (?) آل عمران: 144.

القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[1].

وقد ظهر هذا المعنى العظيم في موقف خالد بن الوليد عندما كان يبارز أحد الكفار في غزوة من الغزوات فكسر سـيف الكـافر، فلم يجد مفـراً من خالد إلا أن بصق في وجهه فأدخل خالد رضي الله عنه سـيفه في مغمـده، فسـأله بعض الجند لم فعلت ذلـك؟ ولم تقتلـه، وقد بصق في وجهك ! ! فقال : ((خشيت أن أقتله فأكون انتصرت لنفسي، ولم أنتصر لدين الله)).

فالمسلم مع الحق حيث كان، متجرداً عن كل هـوى، أو تعصب ممقـوت. يبتغي بجميع أعماله وجه الله تعـالى. إن قـام للـه، وإن قعد قعد لله وبـإرادة اللـه، وإن اسـتعان استعان باللـه، وإن سـكن اطمـأن باللـه، وإن سـأل سـأل الله، وإن عمل عمل للـه، وإن أعطى أعطى لله وعلم أن المـال من الله رزقه به وأمـره بإنفاقه في وجـوه الخـير. فاسـتيقاظه لصـلاة الفجر رضا من اللـه، واسـتعداده بالوضـوء للصـلاة توفيق من اللـه، ودخـول المسـجد لأداء الصـلاة رحمة من الله بـه. فـالرجلان يخرجـان من بيت واحـد، يتجه أحـدهما إلى المسـجد، ويتجه الآخر إلى الملهى، ويـترك العبـادة، فالله لا يختـار لدينه إلا الأتقيـاء الأصـفياء الـذين يسـتحقون ذلك لأنهم يخلصـون في جميع أعمالهم لله تعالى. كما يقـول الله : ﴿ اللَّهُ يَصْـطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75)﴾[2].

ويقـول الرسـول فيما رواه عنه ابن مسـعود: ((..وإن الله ليعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الـدين إلا من أحب فمن أعطاه الدين فقد أحبه..))[3].

فعندما يتيقن المسلم أن عمله كله للـه، وبتوفيق اللـه، سارع وبادر بالأعمال الطيبة وشارك في جميع أمر الخـير، وتعاون مع الناس على البر، والتقوى، وسـخَّر نفسه وماله وكل طاقته للعمل لـدين الله تعـالى، ورفع كلمة التوحيد

[1] (?) الزمر: 30.
[2] (?) الحج: 75.
[3] (?) رواه الحاكم في المستدرك (4/447) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

عالية خفاقة في كل مكان. حيث تمكنت مبادىء هذا الدين من قلبه، وعقله، وعلم أن مهمات هذا الدين: النية التي تحكم كل نشاط المسلم يقول ابن القيم رحمه الله: (المقاصد والاعتقادات معتبرة في التصرفات، والعبادات، كما هي معتبرة في التقربات، والعبادات. فالقصد، والنية، والاعتقاد يجعل الشيء حلالاً، أو حراماً، وصحيحاً أو فاسداً، وطاعة أو معصية، كما أن القصد في العبادة: يجعلها واجبة، أو مستحبة، أو محرمة، أو صحيحة، أو فاسدة)[1].

وما يجذب المسلم إلى فعل الخير، ويجعله يبادر بالأعمال الصالحة إلا الإخلاص، لأنه يتمنى دائماً أن تكون جميع أعماله مقبولة. ويردد قول عمر وهو يقول: (اللهم اجعل عملي صالحاً واجعله لك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً)[2].

2_ الإخلاص يفتح مجالات واسعة للعمل

قال رسول الله : ((مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقه، ورجل لم يؤته مالاً ولم يؤته علماً فيقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله : فهما في الوزر سواء))[3].

فالمسلم ما دام أنه قد أسلم وجهه لله، وأخلص نيته لله، فإن حركاته وسكناته، ونومه، ويقظته، تحسب في ميزان حسناته لأنه ابتغى بها وجه الله تعالى.

ونرى في الحديث السابق ذلك المسلم الذي أخلص النية لله تعالى وتمنى أن يكون معه المال، لينفقه في

---

[1] (?) إعلام الموقعين (3/108).
[2] (?) الزهد للإمام أحمد بن حنبل (ص118).
[3] (?) رواه ابن ماجه (2/1413 ح4228). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (2/413) برقم (3406).

سبيل الله، تقرباً لله، لا يبتغي به إلا وجه الله الأعلى، فهذا يؤجر على نيته الطيبة، وإن لم يقم بالعمل لعدم مقدرته عليه. كالذي ينوي الحج وليس معه النفقة فهذا مثاب بنيته بإذن الله تعالى.

قال بعض السلف: (إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي، وشربي، ونومي، ودخولي الخلاء، وفي كل ذلك، مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى، لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن، وفراغ القلب من مهمات الدين)[1].

والناس يختلفون في نياتهم، فمنهم من يأكل اشتهاءاً للطعام، وتلذذاً بصنوفه المختلفة، ومنهم من يأكل بنية التقوى على عبادة الله.

ومنهم من يرى صنبوراً مفتوحاً بأحد المساجد فيغلقه لأنه يأنف رؤيته مفتوحاً، بينما يغلقه آخر بنية الحفاظ على ثروات المسلمين والتي من أهمها الماء.

ومن المسلمين من يتزوج من أجل الرغبة الجنسية، والاستمتاع بامرأة جميلة، بينما يتزوج آخر من أجل أن يحصن نفسه، ويغض بصره، وينبت ولداً صالحاً يعبد الله من بعده، فيكون بذلك قد أصاب السنة، وأكثر من نسل المسلمين، وحافظ على النوع البشري فيؤجر على إخلاصه في نيته هذه.

ومنهم من يتعلم، ويُحصَّل العلم الشرعي، ويحصل على الشهادات العلمية من أجل أن يذيع صيته، ويشتهر بين الناس. وترى آخر يتعلم، ويحصَّل العلم الشرعي من أجل أن يفقه الناس في دينهم، وينتشلهم من الجهل، إلى التبصر بأمور الدين والدنيا. وهكذا يستطيع المسلم أن يحول العادات إلى عبادات إذا ابتغى بها وجه الله تعالى. وبذا يتميز عن غيره، الذي يقوم بهذه العادات ولا مبتغى له ولا قصد له من وراء فعلها إلا هوى النفس وجمع الدنيا. فتنقلب معه الطاعات إلى معاص بفساد هذه النية. ولا ينال منها إلا الخسران المبين. بينما من يصلح نيته، ويخلص قلبه لله رب العالمين، ترفع له منزلة أعماله

---

[1](?) موارد الظمآن(1/111).

الدنيوية البحتة، إلى ان تصير أعمالاً صالحة مقبولة.

وبذلك إذا ابتغى المسلم بجميع أعماله وجه الله تعالى تفتحت أمامه مجالات واسعة للعمل، فتجده يجعل أكله، وشربه، ولبسه، ونومه، وحياته، وعمله، وتنزهه، ورحلاته، وعمله، علمه كله لله تعالى. حتى عندما يأتي أهله لأنه يمتثل حديث الرسول الذي يقول فيه: ((..وفي بضع أحدكم صدقة..))[1].

وحتى ما يجعله في فم امرأته، يبتغي به وجه الله فيؤجر على إخلاصه هذا. لأنه ابتغى بأعماله وجه الكريم الجواد، الذي يعطي ويمنح، ويجود، ويصفح، ابتغى بها وجه القادر على أن يثيبه ثواباً عظيماً على ما أخلص، فيتفضل عليه بأعظم نعمه عليه يوم القيامة، وهي الفوز برحمة الله ورضوانه.

ذلك المسلم الذي يضع نصب عينيه قول الله تعالى: قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ[2]. وبذلك يسعى المؤمن لأن يبتغي بكل عمل وجه الله تعالى لأنه يعلم أنه سيؤجر عليه مرَّات ومرَّات. سيؤجر عليه في حياته قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[3]. ويؤجر عليه بعد موته قال فيما رواه أبو هريرة: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علمٌ ينتفع به)[4]. ويظل عليه بعد موته هكذا إلى يوم القيامة، فيؤجر عليه الأجر التام الوافي.

قال تعالى وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ[5].وقال تعالى: وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى[6].

---

[1] (?) رواه مسلم (1/667، 668 ح1006).
[2] (?) الأنعام: 162،163.
[3] (?) النحل: 97.
[4] (?) رواه مسلم (2/1255 ح1631).
[5] (?) النحل: 41.
[6] (?) النجم: 39، 40.

وفي هذا المقام يقول الإمام السيوطي:

إذا مـــات ابن آدم ليس	**	عليه من فعل غـــير
علــوم بثها ودعــاء نجل	**	وغـــــــــرس النخل
ورائه مصــحف وربــاط	**	وحفر البئر أو إجـراء
وبيت للغريب بناه يـأوي	**	إليه أو بنـــــاه محل
وتعليم لقـــرآن كـــريم	**	فخـذها من أحـاديث

والإخلاص بالنسـبة للمسـلم يمثل سـفينة النجـاة، من الغرق في محيط النفاق، والشرك، والريـاء، وحب المـدح والثناء، وحبط الأعمال وبوارها. فالداعي إلى الله مثلاً في عملـه، ونشـاطه، وكتابتـه، وخطابتـه، وجهـاده، وصـبره ومشـاركته في كل ما يخـدم دين الله عزوجـل، أحـوج ما يكون إلى الإخلاص، حتى لا تضيع أعماله هباءً منثوراً.

فمن أجل أن توجد أمامه مجالات كثـيرة للعمـل، فعليه أن يجـــدد النية عند كل عمل ويقـــوِّم القصـــد، ويصـــفي النفس.

فـالإخلاص هو صـمام الأمـان للمؤمـنين في حيـاتهم، به تزكو أعمــالهم، وتضــاعف جهــودهم، وأجــورهم، وتــزداد فــاعليتهم، ويشــاركون في مجــالات شــتى في العمــل، يريدون رفعة الإسلام وعزته.

وبـالإخلاص، تكـون الأقـوال والأعمـال، وتكـون العبـادة والطاعة، وبالإخلاص يكون التصديق بسنة الرسـول ﷺ ومن ثم العمل بهـا، وبـالإخلاص يكـون التعليم، والتعلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإنفـاق في سـبيل اللـه، والجهاد في سبيلالله، والبذل، والعطاء، والتضـحية، وصـلة الرحم، وبالإخلاص يكون التحـاب في الله والقيـام بحقـوق المسلم، والحفـاظ عليهـا، وبـالإخلاص تكـون مراعـاة حق الجـــار، ونصـــحه ومعاونتـــه، والأخذ على يديه إذا فـــرَّط، والسؤال عنه، وغض البصر عن محارمه، وبالإخلاص تكون الرحمة والشـــفقة على المســـاكين، ومواســـاة الأيتـــام والأرامـل، حـتى أنك تفـرغ من دلـوك في دلو أخيك تـؤجر على ذلك، بل الأعظم من ذلك أن تبسـمك في وجه أخيك

صدقة إذا ابتغيت بها وجه الله تعالى.

وهكـــذا يجد المســـلم الميـــدان للعمل أمامه كبـــيراً، والمجـالات واسـعة، ومتعـددة ومختلفـة، وما عليه إلا أن يخلص، فـإذا به تتفتح أمامه أبـواب كثـيرة للخـير وبـذلك يتحقق فيه حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: ((إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من النـاس مفـاتيح للشر مغاليق للخير، فطـوبى لمن جعل الله مفـاتيح الخـير على يديـه، وويل لمن جعل الله مفـاتيح الشر على يديـه))[1]. فيصبح المسلم نواة كل خـير، يسـاعد بكلتا يديه المحتـاج، ويعطي الفقير، ويكون في خدمة النـاس على أن يبـدأ في ذلك بأهلـه. عن ابن عبـاس عن النـبي ﷺ قـال: ((خـيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))[2]. ولا يكــون له دافع من وراء ذلك إلا مرضاة الله وابتغاء وجه الكـريم. فيكـون في قمة سـعادته عنـدما يـرى أنه يمـازح أهله ومع ذلك يـؤجر على فعله هذا. والسلم يعلم تماماً المعيار والضابط الـذي يقبل الله به الأعمــال من العبــاد. لــذلك هو يجتهد قــدر طاقته أن تكــون أعماله كلها خاصة لله تعـالى لأن أكــرم النـــاس عند الله أتقـــاهم، وأرفع النـــاس عند الله منزلة المتواضعون، وأقـرب النـاس إلى الله في قبـول الأعمـال المتقــون المخلصــون، الــذين تحــدث الله عنهم في كتابه العزيز وخصـهم بقبـول الأعمـال قـال تعـالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[3] أي ممن اتقى الله وأخلص في فعله ذلك. روى ابن أبي حاتم عن ميمـون بن أبي حمـزة قـال: (كنت جالساً عند أبي وائل، فدخل علينا رجل، يقال له أبو عفيف من أصـحاب معـاذ بن جبـل، فقـال له شـقيق ابن سلمة: ياأبا عفيف، ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل؟ قال: بلى سمعته يقول: يحبس الناس في بقيع واحد، فينـادي منـادٍ: أين المتقون؟ فيقومون في كنف الــرحمن، لا يحتجب الله منهم، ولا يســتتر، قلت:من المتقــون؟ قــال: قــوم اتقــوا

---

[1](?) رواه ابن ماجه (1/86، 87 ح237) وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (1/46 برقم 194).

[2](?) رواه ابن ماجه (1/636 ح1977) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (1/334 برقم 1608).

[3]) المائدة: 27.

الشرك، وعبادة الأوثان، وأخلصوا العبادة، فيمرون إلى الجنة)[1].

والآية السابقة تتحدث عن قابيل وهابيل ابني آدم، وإنما حسد قابيل أخاه هابيل وغضب عليه لقبول قربانه دونه، حيث كان الأتقى هو هابيل.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[2].

إذن فقبول الأعمال لدى رب العالمين من العباد مقترن بالتقوى والإخلاص. والأتقياء هم الذين ابتغوا بأعمالهم وجه الله، وكانت أعمالهم موافقة للشرع أما الحسب والنسب والمال فلا قيمة لها في الإسلام لقبول الأعمال، فليست الأمور كما كان يتمنى كفار قريش وهم يقولون: **﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾**[3].

بل الأصل في ذلك كله قول الله تعالى: **﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾**[4].

3_ الإخلاص يضمن ويكفل الاستمرارية

لكي يستمر إخلاص المرء ولا ينقطع، عليه أن يتخلص من الرياء، والمحمدة عند الناس، من ثم يبارك الله له في أعماله.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح، والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء على والنار، والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص)[5].

والإخلاص عامل من عوامل الارتقاء الحضاري واستمراره،

---

[1] (?) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير(2/39).

[2] (?) سبأ: 37.

[3] (?) الزخرف: 31.

[4] (?) الحجرات: 13.

[5] (?) موارد الظمآن (1/112).

حيث أن القـائمين على الأمـور والـولاة في كل مكـان إذا أخلصـوا في أعمـالهم، وابتغـوا بها وجه الله تعـالى وكـانوا في عمل دءوب من أجل خدمة الرعيـــة، يبـــارك الله لهم في كل ما ملكهم من أسـباب القـوة، والحيـاة، والـرزق، وأصـبحت لهم كلمة تسـمع لـدى الأمم الأخـرى، كلمة لها وزن وتقـدر لـدى الجميـع، كما كـان عليه رسـول الله والصحابة في صدر الإسلام.

والعمل المقبـول رسم شـروطه منهج الله تعـالى وبين طريقته، وساحته، وميادين هذا العمل مهما قلت، أو ضـاق نطاقها، فـإن كل عمل نـابع من الإيمـان متصل بمنهج الله تعالى هو عبادة.

والعمل لا يعد صالحاً ولا مقبولاً، حتى ولو كان عبادة إلا عنـدما يكـون خالصـاً لوجه اللـه. فـإذا تـوفَّر الإخلاص في أفعال المسلم كلها، ظهرت لديه روح الجهاد وأصـبح يحب الجهاد في سبيل الله حباً عظيماً[1].

ذلك الجهاد جهاد طويل لا يتوقف، جهـاد في كل ميـدان بل في أحلك الظروف والأحوال،

كل عامل في ميدانه وفي نطـاق عمله فعنـدما تتضـافر الجهود، ويزداد البـذل والعطـاء والتضـحية من الـزارع في مزرعتـــه، والتـــاجر في متجـــره، والصـــانع في مصـــنعه، والمـدارس في معهـده أو كليتـه، والخطيب في مسـجده، والضابط في حراسـته، والأمـير في إمارتـه، والقاضي في محكمتــه، بــإخلاص، وإتقــان، ووعي، وحــرص شــديد، لا يتوقف العمل، بل يزداد وينمو، ويبارك الله لهم في كل ما يفعلون، وتستمر الجهود، ولا تعرف للانقطاع طريقاً،

بسبب هذا الدافع القوي العجيب وهو الإخلاص.

وهؤلاء الجنـود يعملـون ليل نهـار من أجل خدمة دينهم، ورفعة أمتهم، ورفع لـــواء التوحيد عاليـــاً خفاقـــاً، فـــترى ثمـرات ذلك نتـائج طيبـة، تلك النتـائج تحققت في وجـود عمل مدروس،

مخطط، وفق منهج علمي، شرعي، صـحيح. فـالإخلاص يجعل طاقات المؤمنين تبذل، وتتحرك، وفـاعليتهم تـزداد،

[1](?) بتصرف يسير من لقاء المؤمنين (ص43) لعدنان النحوي.

وتحركـــاتهم وآثـــارهم واضـــحة، في كل مكـــان، ومجـــال، يفرغـــون تلك الطاقـــات في عمل دءوب دون أن ينتظـــروا مكافأة من أجد من البشر، بل كل ما يسعون إليه، والفوز به هو رضوان الله تعالى عليهم.

لأن همهم الوحيد التقـــوى، والصـــلاح، والإخلاص، فهم أغنيـــاء عن مسـألة النـاس يتعففـون السـؤال، ويرضـون بالقليل بما قدر لهم الرزاق ذو القوة المتين.

وهـــؤلاء المخلصـــون لا يتحركـــون كما ذكرنا آنفـــا، إلا بالعزيمة والنية، فبدون الإخلاص والنية تنهار العزيمة، لأنها نية العبادة، والإخلاص لله رب العالمين.

ونيات المخلصين نيات متجردة عن المصـالح، والأمزجة الهوائيـة، والرغبـات المعطلـة، نية إخلاص وتجـرد لـربهم سـبحانه وتعـالى. فالنية هي أسـاس النهج والتخطيط السـليم، وهي منطلق العزيمـة، والطريـق، والحـافز إلى الهدف والغاية.

والتخطيط والعزيمـــة، والطريق الموصل للهـــدف، وهو طريق الله المستقيم هذه الأمور الثلاثة لها أهمية عظمى، في حيــــاة كل من رفع شـــعار الإخلاص، وجعله من أساسيات حياته، يشترك فذلك الفرد، والأمة. فالأمة الـتي تتحرك وتسير بـدون نيـة، ولا تخطيـط، ولا نهج علمي، ولا عزيمة، ولا سـبيل يوصـلها إلى أهـدافها، وغايتهـا، هي أمة سـرعان ما تسـقط من حسـاب المجتمع الـدولي ومن ثم تُزْوى عن الوجود شيئاً، حتى تتهاوى نهائياً.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسـنة ومثـلٌ أعلى يحتـذى به في التخطيـــط، والعزيمـــة، والسـبل الموصـلة إلى الأهـداف، والأخذ بالأسـباب الـذي يعد من أعظم مظـاهر الإيمان بالله تعالى.

فكما قيل: الأخذ بالأسباب من الإيمان بالله تعالى، لكن لا يعتمد عليها فـالمؤمن عليه أن يعتمد على مسـبب الأسباب وهو الله تعـالى. فـالنبي ﷺ ضـرب لنا أروع الأمثلة في ذلك الإطـار الإيمـاني والنهج الربـاني، في هجرته المباركة من مكة على المدينة المنـورة.كما تقـول كتب

السير المعتمدة[1]. أنه ﷺ : أحكم التخطيط ونظم السير، وخادع الأعداء، وكان كل أمر يقوم به تراه منظماً تنظيماً دقيقاً، وما ترك أمراً من الأمور إلا وأعد له عدته، ووضع له خطة محكمة بتوفيق الله ﷻ. فاتفق مع أبي بكر الصديق على مكان اللقاء، وأحضر دليلاً للطريق، وجعل بينه وبين قريش مركزاً للمعلومات والإحصاء، واتُّفِقَ على من يحضر لهم الزاد، حتى يرحلون إلى بغيتهم من غار ثور. وكان ذلك كله في إطار منهج الله تعالى.

والإخلاص، والتخطيط السليم يجعلان جهود المسلم محفوظة، ولا تتبعثر بل يصبانها في مجرى واحد دفاق بالخير.

فها نحن نرى تقدماً عظيماً، ورقياً واضحاً، ونجاحاً لا مثيل له في عصر رسول الله ﷺ وفي عصر خلفائه الراشدين.

والتخطيط السليم والعزيمة القوية لا يتحركان بمجرد الوعظ والإرشاد والاهتمام بالنواحي الإيمانية فقط، علماً بأن الوعظ والإرشاد له دوره المهم الواضح، إذا اهتم فيه بالجوانب الروحية لدى المسلم، وذلك بأن توجد محاضرات، ودروس علمية يتحدث فيها عن الفاعلية، وكيف يصل المسلم إلى مرحلة استشعار معية الله ﷻ، فيراقب الله في كل أعماله، ويعطي من خلال هذه المحاضرات شحنة إيمانية كبيرة، تجعله يتحرك في ميادين الحياة الواقعية بكل يسر وسهولة وبكل حماس، وفاعلية، وقوة لا تتوقف بإذن الله تعالى ويا حبذا لو عممت هذه المحاضرات على جميع المستويات، ويختار فيها الموضوعات التي ترقق القلوب، وتحفز النفوس للعمل لدين الله ﷻ، ولارتقاء حضارة هذه الأمة.

نقول ومع أهمية الوعظ والإرشاد بمكان، لكنهما لا يكفيان لتحرك العزيمة القوية، والتخطيط السليم، بل لا بد من الشحنة الفعلية العملية المباشرة المحسوسة.

فإذا كان الوعظ والإرشاد هو الدافع الروحي، فإنَّ التدريب، والرعاية والتنظيم هو الدافع المادي للحركة،

---

[1] (?) انظر سيرة ابن هشام، ودلائل النبوة للبيهقي.

والعمـــل، والبنـــاء، والتكـــوين، والمراقبة وتلك المراقبة والمتابعة من الرئيس للمـرؤوس لا تتعـارض والإخلاص بل هي تزيد من فاعلية المسلم، وتجعله في إخلاص دائم وعمل مستمر لا ينقطع.

وإذا أردنا مهارة عالية، ومستوى فائقاً، وارتقاءاً واضحاً، وتـزداد فعلية أبناءنا في جميع ميـادين الحيـاة، فإننا ننصح بالاهتمـام بـالتعليم الفـني خاصة من جـانب أبناءنا الطلاب ليتم تدريبهم على أعلى مستوى تكنولـوجي حـديث خاصة في مجال الصناعة.

وإننا في هـذا البلد المبـارك بلد الحـرمين الشـريفين، الذي يجمع بين الاهتمـام بـالأمور الشـرعية، وبين الارتقـاء بمظاهر الحياة العملية، ويتمـيز على سـائر بلاد الـدنيا في تحكيم شـرع اللـه، نلحظ اهتمامـاً متمـيزاً في الصـناعات والمصـانع، وها هي الدولة تبـذل بسـخاء لمسـاعدة هـذه المصـانع على أداء رسـالتها لكن الـذي ينقصـنا هو رغبة أبنائنا وشـبابنا، وإقـدامهم على المـدارس الفنية وكلياتهـا، وهـذا ما نتمـنى أن يتحقق خلال الخطط القادمة إن شـاء الله تعالى.

وعلى كل فيجب على المســـلم أن يصـــحح الخطـــأ، ويستفيد منه، ويقوم خبرته وتجربته، ويصـحح نيته بالتوبـة، والرجوع واللجوء إلى الله تعالى دائماً.

والمسـلم عنـدما يشـارك في مجتمعه الـذي يعيش فيه مشاركة فعالة ويجد خطأ من غيره، فعليه أن يقوم سريعاً بتصحيح هـذا الخطـأ، على أن لا يتتبع العـورات، وأن ينصح بالحكمة والموعظة الحســـنة، ويســـدد ويقـــارب. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه عن النبي قال: ((سددوا وقاربوا..))[1]. والمسـلم كلما أخلص في عبادته لله تعـالى أقبل بالحفاظ على الفرائض، ثم النوافـل، والازديـاد منهـا، ثم هجر البـدع، والمنكـرات، والمخالفـات، ثم تقـرب إلى الله تعـــالى بكل ما يســـتطيع، وقـــام ليسد على إبليس الملعون جميع مداخله، إذا حـاول ذات مـرة أن يبعـده عن

---

[1](?) رواه البخاري ومسلم وهو بالبخاري (7/182) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل.

العمل، بأن يثبط همته، ويضعف عزيمته، فإذا بهذا المسلم المخلص ينتصر عليه بفضل الله تعالى، باللجوء إليه سبحانه، والتحصن بالأذكار الشرعية، والاستعاذة بالله من هذا العدو المضل آخذاً بقول أحد الصالحين وهو يقول: (إذا أردت أن تتغلب وتنتصر على من يراك ولا تراه فاستعذ منه بالذي يراك ويراه).

فيحسن الظن بالله، ويتوكل عليه، ويزداد في العمل، ولا ينقطع عن فعل الخير، بل يستمر دائماً في طاعة الله وعبادته، وفي خدمة مجتمعه الذي يعيش فيه.

ولقد شبه الله سبحانه وتعالى المخلصين تشبيهاً كريماً، حيث شبههم بالجنة التي هي في بستان عالٍ، وأصابها مطرٌ شديد فآتت ثمرها ضعفين، فإن لم يصبها هذا المطر الشديد فهي لينة بمطرها السابق وهذا كافيها، فكذلك المؤمن لا يبور عمله أبداً، ويتقبله الله ويكثره ويضاعفه

كل بحسب عمله، والله لا يخفى عليه من أعمال العباد شيء[1]. قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

على الجانب الآخر شبه الله سبحانه وتعالى المرائين بالصخر الأملس، الذي عليه تراب ثم أصابه مطر شديد، فتركه أملساً يابساً، لم يبق عليه شيء من ذلك التراب. فكذلك أعمال المرائين تذهب سدى، وتضمحل عند الله، وإن ظهر لهم أعمال، فيما يرى الناس كالتراب[3].

فالمراءون ليس لهم من أعمالهم شيء، بل هم يتوقفون في أماكنهم ولا يتقدمون خطوة واحدة نحو عبادة صحيحة مقبولة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى

---

[1] (?) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير 1/229.
[2] (?) البقرة: 265.
[3] (?) تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير 1/228.

شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1]. هكذا يضيع عمل المرائي وتمحق منه البركة. على العكس من المسلم الموحد المخلص المحافظ على الأذكار، والأوراد النبوية في كل شيء، ينطق بها في بدء كل عمل، ويجدد النية ويصححها، هذا يبارك الله له في جميع أعماله. لأن رسول الله ﷺ يقول: ((كل كلام أو ذي بال لا يفتح بذكر الله ﷻ فهو أبتر أو قال أقطع))[2]، لذلك نرى المخلص يستمر في أعماله الصالحة ولا ينقطع عنها، بل هو في سعادة عظيمة عندما يقوم بعمل في مرضاة الله تعالى، لأن جسد المؤمن هيأه الله تعالى للطاعة والعبادة، فلو ظل يعمل أكثر الوقت لكفاه.

لأن الجسد ما دام في طاعة الله، ولا يبتغي بالعمل إلا وجه الله فإنه لا يكل ولا يتعب، على العكس من ذلك العاصي أو الكافر فإن جوارحه تتمنى اللحظة التي ينام فيها، من أجل أن تستريح من الذنوب وتتوقف شيئاً ما عن المعصية.

إذن فالباعث على الأعمال، والدافع وراء حركة المرء له أهمية عظمى، وبالغة في استمرار الأعمال، وانقطاعها، وفي دناءتها، وعلوها، وفي الثواب والعقاب عليها، فليتحرَّ كل منا الإخلاص، لتستمر أعمال المرء إلى حين انتقاله إلى الدار الآخرة، فتنفعه هذه الأعمال الصالحة التي ابتغى بها وجه الله تعالى، في يوم لا ينفع مال ولا بنون.

4_ زيادة فاعلية المسلم لأن الدافع الأخروي للعمل أقوى

قال رسول الله ﷺ: ((سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته من علَّم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورَّث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته))[3].

---

[1] (?) البقرة: 264.

[2] (?) رواه الإمام أحمد في مسنده 2/359 وقال الحافظ أحمد شاكر:في الشرح 16/289، 290 برقم 8697 إسناده صحيح.

[3] (?) رواه السيوطي في الجامع الصغير 2/31 وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير 3/201 برقم 3596.

فالمسلم عندما يتوفر لديه الإخلاص تزداد فاعليته، ويقبل على فعل الخير، لما يعلم من أهمية الإخلاص في قبول العمل، وما ينتظره من ثواب عظيم يوم القيامة، وهو المتمثل في الدافع الأخروي لأنه أقوى من الدافع الدنيوي، وهذا الدافع الأخروي هو الذي يحرك المسلم للعمل.

عن أبي هريرة عن النبي قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال:إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه))[1].

ما أكثر أبواب الخير التي فتحها الله للمسلم، لتوصله إلى رحمة الله تعالى ويفوز بالنعيم المقيم، ويحظى بالدرجات العلى في الجنة.

وإذا كانت الدنيا تعج بحمى ملذاتها وشهواتها المتعددة، ومحاولة التزود من متعها الزائلة، فإن الجائزة الكبرى التي تنتظر المخلصين يوم القيامة أن يتفيئوا ظلال رحمة الله يوم القيامة، يوم أن تدنو الشمس من الرؤوس، قاب قوسين أو أقل من ذلك، فيكون حر شديد، وعرق كثير، فمن الناس من يأتيه العرق إلى عقبيه ومنهم من يلجمه العرق تلجيماً، ومنهم من يسبح فيه سباحة[2].

فما أحوج الناس في يوم مثل هذا أن يكونوا في ظل عرش الرحمن يوم القيامة، فائزين برحمته التي وسعت كل شيء، ورضوانه الذي يعم به عباده المتقين. فإذا ما علم العبد هذا الدافع الأخروي، وهو النجاة من هذا الموقف العصيب يوم القيامة، الذي يتمنى فيه الكافر أن ينصرف من شمسه ولو إلى نار جهنم [3].

---

[1] (?) رواه البخاري 1/161 كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد.
[2] (?) يوم الفزع الأكبر للقرطبي ص36، ص37.
[3] (?) المرجع السابق ص141.

لسارع المؤمن للعمل، وبادر إليه، ونظر باهتمام شـديد إلى الغاية من عملـه، هل هو مخلص فيـه؟ فيحمد الله تعالى أم غير ذلـك؟ فيتـوب إلى اللـه، ويسـتغفر عن هـذا التقصير ويجـدد نيته ويصـلحها ويعقد بيعة صـحيحة مع الله تعالى ليدخل زمرة المخلصين.

وفي الحـديث السـابق ذكـره خصَّ النـبي ﷺ سـبعة من أصـحاب الطاعـات، يسـتمتعون بهـذا الفضل المـذكور في الحديث، وهو التنعم بظل الله يـوم القيامـة، وهـؤلاء ممن زكت نفوسـهم، واسـتقامت أحـوالهم، وراقبـوا ربَّهم في سـرهم، وعلانيتهم، وأخلصـوا أعمـالهم، مبتغين بها وجه الكريم الجواد طامعين في الدافع الأخـروي الـذي حـركهم للقيـام بأعمـالهم هـذه، وهو أن يكونـوا في كنف الله ورعايته. في يـوم لا ناصر ولا معين إلا اللـه، ولا مَنْجى ولا ملتجأ إلاَّ إليه سبحانه.

وعلى المسلم أن يعلم أن كل خير يقوم به سـيكتب له في ميزان حسناته يـوم القيامة إذا ابتغى بهـذا الخـير وجه الله تعالى. يـبين ذلك الحـديث الـذي رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ﷺ))ما من مسلم يغرس غرسـاً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسـان أو بهيمة إلا كـان له به صدقة))[1].

وكـان الواحد من السـلف يشـكر أخـاه أن أعانه على الحصـول على الثـواب من خلالـه، أو القيـام بطاعـة، أو عبادة، تقربه من الله تعالى عن طريقه فيقول له: (جـزى الله أخي عني خير الجـزاء أن جعل لي من نفسه حظـيرة لطاعة الله ﷻ).

5_ يمنع الإنسـان من الشـعور بالإعجـاب ويشعره بالتقصير

قال ابن القيم رحمه الله: (عمـال القلـوب هي الأصـل، وأعمـال الجـوارح تبـعٌ ومكملـة، وإن النية بمنزلة الـرُّوح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضـاء الـذي إذا فـارق الـروح فمـوات، فمعرفة أحكـام القلـوب أهم من معرفة أحكـام

---

[1](?) رواه مسلم 2/ 1189 ح1553.

الجوارح)[1].

فإذا ما عرف المسلم الأحكام التي تتعلق بأعمال القلوب، أخذ يفتش في نفسه، ليرى هل هو مقصر أم لا؟

والذي يدفعه لذلك إخلاصه في العمل الذي يشعر الإنسان بتقصيره نحو خالقه، بالرغم من أنه يقوم على أوامر الله ويسارع في الخيرات، لكنه يخشى عدم القبول. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[2]. هذا المسلم الذي يلتزم بما أمر الله به، ويخشى عدم القبول، ويحاسب نفسه دائماً، ليرقى بها إيمانياً، عن المستوى التي هي عليه. فإذا وصلت لمستوى أعلى منه، لم يقنع بذلك، بل هو يريد الأفضل، والأرقى، يريد أن يصل إلى مرحلة المخلصين. وهكذا تزداد فاعلية المسلم، ويستمر في تقدم بسبب هذا الإخلاص، الذي يمنع صاحبه من إعجابه بنفسه أو استكثار عمله، أو استصغار ذنبه، فهو يحاسب نفسه على الفرائض التي أمره الله بها، فإن تذكر أنَّ فيها نقصاً قام بقضائه، فإنه لا كفارة فيها إلا ذلك. ثم ينظر إلى ما نهاه الله عنه، فإن كان قد اقترف منها شيئاً، أسرع بالتوبة والأوبة إلى الغفار ثم ينظر هل هو قائم بالغاية التي من أجلها خلق الله العباد المتمثلة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

والمتمثلة أيضاً في قوله تعالى:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾[4]. فإن كان من المحافظين على طاعة الله وعبادته، ومن القائمين على تبليغ دين الله ﷻ، من المتعاونين على البر والتقوى، حَمد الله، وأرجع الفضل في ذلك كله لله وإن وجد تقصيراً اجتهد في إصلاحه.

ثم يتنزه بنفسه عن الفضول من الكلام، والفضول من

---

[1] (?) بدائع الفوائد 3/224.
[2] (?) المؤمنون: 60، 61.
[3] (?) الذاريات:56 .
[4] (?) آل عمران: 110.

الطعام والشراب، والفضول من الثياب، وغير ذلك.

ثم يسأل نفسه عند القيام بكل عمل، هل هذا العمل كان خالصاً لوجهه سبحانه وتعالى؟ أم أنه أراد به محمدة الناس، ورياءهم، وثناءهم عليه؟فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه. قال تعالى: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾[1]. ثم يسأل نفسه أيضاً كيف قام بهذا العمل؟ هل هو موافق لشرع الله وسنة رسوله ﷺ وبعيد عن البدع، والمنكرات وما حرَّم الله أم لا؟ هل روعي في هذا العمل أنه كان موافقاً للعقيدة الصحيحة التي لا يحول دونها أدنى مظاهر الشرك؟ هل اعتبر هذا المخلص الذي يحاسب نفسه من قوله تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾[2]. ليت المرء يفكر في الآية السابقة ويعلم أن الصادقين سيسألون ويحاسبون عن صدقهم فما باله بالكاذبين! !

والذي يجعله يفكر في ذلك كله هو الإخلاص. إذن فالعبد كلما أخلص في عبادته وكان صادقاً مع نفسه، وجلس يحاسبها بصدق، شعر بالتقصير، وشعر أنه ليس على الحالة التي ترضي الله عنه، فقام ليصلح من أوضاعه، ويحسن من علاقته بربه. لأنه يخاف من الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وهذا الخوف الناتج من محاسبة النفس، يفيد المرء بفوائد عظيمة منها:[3]

1_ الاطلاع على عيوب النفس، فإنه من لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته فإذا

اطلع على عيبها مقتها في ذات الله تعالى.

روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء أنه قال:)لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتاً)[4].

وقال أبو حفص (من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات

---

[1] (?) الليل: 19،20.
[2] (?) الأحزاب: 8.
[3] (?) مرجع سابق.
[4] (?) المرجع السابق 1/138.

ولم يخالفها في جميع الأحـــوال، ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أوقاته كان مغروراً. ومن ينظر إليها بإستحســان فقد أهلكها)[1].

لأن النفس داعية إلى المهالــك، معينة للأعــداء نــاظرة إلى كل قـــبيح ســـائرة وراء كل ســـوء، عابثة بطبعها في المخالفات.

2_ معرفة حق الله عليه. فإن لم يعرف حق الله عليـه، لا تكــاد عبادته تنفعــه، وهــذه المعرفة تورثه الإزراء على نفسه، وتخلصه من العجب، فتفتح له أبواب كثيرة واسـعة للعمل، والاجتهاد في العبادة ودافعه في ذلك كله أيضاً هو الإخلاص، لأنه دائماً في محاسبة نفسه

وفي حق الله تعالى عليه، ويجتهد في تأديته على النحو الذي يرضي الله عنـه، ومع ذلك هو يخشى عـدم القبـول، وإن كان يرجوا ثواب الله ورحمته.

أما المـرائي فَلِمَ يحاسب نفسـه؟ وَلِمَ يجلس مع نفسه في خلوة ليعرض أعماله على الكتـاب والسـنة؟وها هو قد رضي بثناء الناس ومحمـدتهم لـه. وهـذا النـوع من النـاس جاهل بربه،

وبنفســـه، ينظر في حقه على اللـــه، ولا ينظر في حق الله عليــه. فــانقطع عن ربــه، وحجب قلبه عن معرفة ما عليه لله، ومحبته والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره.

والإخلاص تجــارة رابحة ليس فيها كســاد، ولا خســارة، وما أعظم أن يكون البيع، والصـفقات التجارية مع الكـريم سـبحانه وتعـالى، الــذي لا تنفد خزائنه أبــداً، حــتى أن من كرم الله على عباده أنه سبحانه يرزقهم ويملكهم أســباب القـــوة، ثم يحثهم على بـــذلها، ويحسن لهم في الجـــزاء، ويجزل لهم في عطائه. مع أن الله الــرازق هو الــذي رزق عباده ما بذلوه.

ونصوص هذه الصفقة وبنودها وشـروطها نـزل بها أمين الوحي جبريل عليه السلام من الله

تعـالى على رسـوله بدسـتور المسـلمين قـال تعـالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِـأَنَّ لَهُمْ

---

[1] (?) المرجع السابق 1/140.

الْجَنَّةَ﴾[1].

6_ يعين المسلم على تجاوز العقبات الــتي قد تقف في وجهه

الإخلاص هو سبب نجــاة العبد من مهالك كثـيرة، بل أنه لا يستطيع أن يتغلب على الشيطان

ويحصن نفسه منه إلا إذا كان مخلصاً في جميع أحواله، وفي جميع أعماله، ملتزماً بكل ما أمر الله، فيختاره اللــه، ويجتبيه من عباده بالحفظ من عدوه.

قال الله تعالى مبيناً ذلك على لسـان إبليس لعنه اللــه: ﴿قَـــالَ فَبِعِزَّتِــكَ لأُغْـــوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَــادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِـينَ﴾[2] لأن هــذا العـدو الملعـون هو الـذي يحـاول دائماً وأبداً أن يتسبب للعبد في إبطال أعملــه، وهو الــذي يدعوه إلى الرياء، والإخلاص هو المنجي له من ذلك.

والنــاظر إلى البلاء الــذي وقع يه يوسف عليه الســلام، وهو التعرض للفتنة، في وجود مغريات كثيرة، منها شــبابه الـــذي يفيض بالحيوية والجنس، وحُسْـــنُ وجهه حيث أنه أعطي

شطر الحسن وهذا يجعل داعي الإغراء والإلحــاح أشــد، من ناحية امرأة العزيز، ومكان الحادث كان بعيــداً عن أن يــراه أحــداً من أهلــه، أو أقاربــه، فيفضح أمــره. لكنه ثبت ثباتاً عظيماً في هذا الموقف العصيب فـيرى النـاظر لهـذا البلاء أن يوسف عليه السلام قد نجاه الله سبحانه وتعالى، وكان سبب نجاته الإخلاص.

يقول الله حاكياً عن نجاة يوسف عليه السلام: ﴿كَـذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[3]، فهل يتعظ، ويعتبر، ويستفيد الشـباب والفتيـات من هـذا الــدرس العظيم وهــذه العــبرة الطيبة الــتي حــدثت من يوسف عليه السلام؟ أن من عباد الله عباداً لا يستطيعون غض البصر فقـط، المـأمور به شـرعاً، ولا سـبب لـذلك إلا قلة التقوى، والإخلاص، والله الهادي إلى سواء الصراط.

---

[1] (?) التوبة: 111.
[2] (?) ص: 82، 83.
[3] (?) يوسف: 24.

والمسلم يستطيع أن يتوسل إلى الله بما أخلص من أعماله، فيكون إخلاصه منجاة له من الكروب، والعقبات التي قد تقف في وجهه.

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول: ((انطلق ثلاثة رهط فيمن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا:إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم:اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنَّا ما نحن فيهمن هذه الصخرة فانفرجت شيء لا يستطيعون الخروج، قال النبي وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليَّ فأردتها عن نفسها فامتنعت منِّي حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلِّي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفضي الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث:اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إلى أجري، فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل، والبقر والغنم والرقيق، فقال يا عبد الله:لا تستهزىء بي!! فقلت:إني لا أستهزىء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما

نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون))[1].

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرح هذا الحديث: (الإخلاص من أسباب تفريج الكربات لأن كل واحد منهم يقول:(اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه، أما الرياء والعياذ بالله والذي يعمل الأعمال رياءً وسمعة حتى يمدح عند الناس فإن هذا كالزبد يذهب جفاءً لا ينتفع منه صاحبه...)[2].

فهؤلاء الثلاثة أخلصوا في أعمالهم، وابتغوا بها وجه الله سبحانه وتعالى وحده، وقضية التوحيد عندهم واضحة، توحيدهم لله توحيد خالص، متضمن محبة الله، وإجلاله، وتعظيمه، والخوف منه ورجاءه وحده سبحانه ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض وما يبين إنقاذ العبد من أي مكروه قد يقع فيه، لأن هذا التوحيد لا تشوبه شائبة

شرك. لأن الشرك كلما كان في العبد أغلب من الإخلاص كانت ذنوبه أكثر، ووقوعه في المضايق والكربات أكثر.

لكن كلما كان الإخلاص أعظم كان العبد من الذنوب أبعد، وللمناجاة أقرب وأيسر.

7_ بالإخلاص تنصر الأمة

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه أنَّه ظن أنَّ له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي فقال نبي الله : ((إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم))[3].

وصلاح الدين الأيوبي عندما كان يتفقد جنوده في إحدى المواقع الحربية، وجد بعضهم يقيم الليل فقال: (من هنا يأتي النصر) ووجد بعضهم نائماً فقال:(من ها هنا نُؤتى).

8_ يشرح صدر صاحبه للإنفاق في سبيل الله

فالمخلص لا يخشى الفقر، ويعلم أن ما عند الله لا ينفد

---

[1] (?) رواه البخاري 3/ 51، 52 كتاب الإجارة باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد ومن عمل في مال فاستفضل.

[2] (?) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص72 ج1.

[3] (?) رواه النسائي 6/45 كتاب الجهاد باب الاستنصار بالضعيف. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي 2/669 برقم 2978.

أبداً، لذلك هو ينفق ويبذل في وجوه الخير المختلفة، ويؤثرها بأعظم قدر مما ملكه الله من أسباب القوة، حتى وإن كان محتاجاً لما يبذل. قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

9_ يحمل طالب العلم على الاجتهاد والمعلم على الحرص في الإيضاح

فكما يخلص التلميذ في حضوره لدروس العلم وأنه يتعلم ابتغاء وجه الله لينفع الناس في جميع أمور حياتهم. فكذلك يجعل الأستاذ يبذل كل ما في وسعه لإيضاح ما خفي عن التلميذ، ولا يبخل على الطلاب بما تسعه أفهامهم من المباحث المفيدة، ويكون الأستاذ حريصاً على أن يسلك في طريقه التدريس الأساليب التي تجدد نشاط تلاميذه وتحفزهم إلى التعمق في المسائل. وكلما أخلص العالم في عمله، وعمل بما عَلِم، علّمه الله ما لم يعلم،

ونفعه بما علَّمه، وصار علمه حُجة له لا عليه.

10_ يحمل صاحبه على تنظيم أعماله[2]

فالإسلام دين النظام، والانضباط، والدقة، والجمال.

فتجد المخلص يحافظ على وقته، ويستغله أفضل استغلال، ويصرفه كله في طاعة الله ﷻ. لأنه يعلم أنه سيسأل عنه يوم القيامة.

عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: ((ما تزال قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع:عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟..))[3].

11_ يجعل صاحبه في منزلة عظيمة عند الناس

فيحترمه الناس، ويوقرونه، ويجلونه، ويكون محبوباً لديهم. باش الوجه، حسن اللفظ، طيب الخلق.

---

[1] (?) الحشر: 9.
[2] (?) موارد الظمآن 1/175، 176.
[3] (?) الترغيب للمنذري 1/ 125 وصححه الألباني في صحيح الترغيب 1/54،55 برقم 123.

يقول الشاعر:
وأحسن وجه في الـــورى وجه مخلص * * * لمن خلق الأشياء ربَّ ا لبشرية
وأيمن كف في الــــــورى كف مخلص * * * يريد رضا الخلاق نعم الإرادة[1].

12_ ينجو به المـرء من عـذاب الآخـرة ويفـوز بنعيم الجنة:

فـالمخلص عنـدما يتصـدق لا يريد من وراء صـدقته إلا رضا الله تعـالى عليـه، وأن ينجو بهـذا العمل من العـذاب يوم القيامة، لما فيه من هـول شـديد، وأمـور عظـام قـال تعـالى: ﴿وَيُطْعِمُـونَ الطَّعَـامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْـكِيناً وَيَتِيمـاً وَأَسِيراً (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (10) فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْـرَةً وَسُـرُوراً (11) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾[2].

13_ الإخلاص دواء لمرض البعد عن الله:

قابل شخص الفضيل بن عياض فسأله قائلاً: يا أبا علي: هل لمرض البعد عن الله دواء؟

عليك بعروق الإخلاص، وورق الصـبر، وعصـير التواضـع، وضع هذا كله في إنـاء ا لتقـوى وصـبَّ عليه مـاء الخشـية والخوف من الله ﷻ وأوقد عليه نار الحزن والبكاء والنـدم، وصـــفِّه بمصـــفاة المراقبة مع الله جل وعلا، وتناوله بكف الصدق، واشربه بكأس الاستغفار وتمضمض بالورع، وابعد عن الحرص والطمع، تشفَ من مرض البعد عن الله[3].

قالوا في الإخلاص:

تحدث الكثير من علماء المسلمين، والتابعين، والسـلف الصالح عن الإخلاص وذكروا باقات طيبة من كلامهم الـذي يفوح بالمسك في هذا الأصل.وإليك باقة من كلامهم حول الإخلاص:

قــال إبــراهيم بن أدهم: (الإخلاص صــدق النية مع الله

---

[1](?) موارد الظمآن 1/ 176.
[2](?) الإنسان: 8- 12.
[3](?) الاستعداد ليوم الميعاد ص96.

تعالى)[1].

وقال سهل: (الإخلاص أن يكون سـكون العبـد، وحركاته لله خاصة)[2].

وقال آخر : (الإخلاص ما استتر عن الخلائق، وصـفا عن العلائق)[3].

وقال سفيان بن عيينة:)ما أخلص عبد لله أربعين يومـاً إلا أنبت الله الحكمة في قلبه نباتــاً، وأنطق لســانه بها وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها)[4].

وقـــال الربيع بن خيثم: (كل مـــالا يـــراد به وجه الله يضمحل)[5].

وسـئل حمـدون القصـار: ما بـال كلام السـلف أنفع من كلامنا؟

فقال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجـاة النفـوس، ورضا الـرحمن، ونحن نتكلم لعز النفـوس، وطلب الـدنيا، ورضا الخلق[6].

وقـال أويس القــرني - رحمه الله -: (وإذا قمت فـادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فلن تعالج شـيئاً أشد عليك منهما)[7].

وســئل ســهل أي شــيء أشد على النفس؟ فقـــال: (الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب)[8].

وقال عمر بن الخطـاب :(فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس)[9].

وقال الفضيل بن عيـاض: (تـرك العمل من أجل النـاس رياء، والعمل من أجل الناس شـرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما)[10].

---

[1] (?) إحياء علوم الدين 3/ 326.
[2] (?) المرجع السابق.
[3] (?)المرجع السابق.
[4] (?)حلية الأولياء 7/ 287.
[5] (?) سيرة أعلام النبلاء 4/ 259.
[6] (?) صفة الصفوة 4/ 122.
[7] (?) صفوة الصفوة 3/55.
[8] (?) إحياء علوم الدين 3/326.
[9] (?) إعلام الموقعين 2/180.
[10] (?) إحياء علوم الدين 3/326.

وقيـــل: الإخلاص دوام المراقبـــة، ونســـيان الحظـــوظ كلها[1].

وروي عن ابن مسعود أنه قال: (لا ينفع قـول إلا بعمـل، ولا ينفع قول ولا عمل إلا بنيـة، ولا ينفع قـول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة)[2].

وقال ا بن عبد الله التسـتري:(الإخلاص مسك مرصـون في مسك القلب تنبه ريحه على حامله)[3].

الرياء وأثره على الأعمال

الريـــاء يمحق الأعمـــال الصـــالحة، ويفرغها من آثرها الطيبة، ويبطلها، ويتركها خواء، ويصيرها هباء منثورا. يأكل الحسـنات، ويضـيع على العبد كل سـعيه أشد فتكـاً على المســـلم في أعماله من الـــذئب في الغنم، أخطر على المسلمين من فتنة المسـيح الـدجال، يـورث المـرائي في الـدنيا الصـغار، والـذل والهـوان، وفي الآخـرة سـخط الله عليـه، والـزج به إلى نـار جهنم، لأنه ابتغى بعمله غـير الله تعالى.

عن أبي هريـرة رضي الله عنه أن النـبي قـال: ((إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال:فما عملت فيها؟قال قـاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فســـحب على وجهه حـــتى ألقي في النــار. ورجل تعلم العلم وعلمــه، وقــرأ القــرآن فــأتي به فعرفه نعمه فعرفها قــال فما عملت فيهــا؟ قــال تعلمت العلم وعلمتــه، وقـرأت فيك القـرآن، قـال: كـذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال هو قـارىء فقد قيل ثم أمر به فســـحب على وجهه حـــتى ألقي في النار.ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قـال:فما عملت فيهـا؟ قـال: ما تــركت ســبيل تحب أن ينفق فيها إلاَّ أنفقت فيها لــك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقـال:هو جـواد فقد قيل ثم أمر

---

[1] (?) ؤ

[2] (?) ففروا إلى الله لأبي ذر القلموني ص70.

[3] (?) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح ص716.

به فسحب على وجهه ثم القي في النار))[1].

فالعمل قد يبطـــل، مع أن صـــاحبه قد عقد له الإخلاص قبل القيام به، لكنه جاء بعد فترة من الزمن، وذكره أمـام الناس، على سبيل المن والافتخار، فيبطل ثوابه في توه.

عن أبي الدرداء عن رسول الله أنه قال: ((إنَّ الاتقـاء على العمل أشد من العمـــــــل، وإن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمـول به في السر يضـعف أجـره سبعين ضعفاً، فلا يـزال به الشـيطان حـتى يـذكره للنـاس ويعلنـه، فيكتب علانيـة، ويمحى تضـعيف أجـره كلـه، ثم لا يزال به الشـيطان حـتى يـذكره للنـاس الثانيـة، ويحب أن يـــذكر به ويحمد عليه فيمحى من العلانيـــة، ويكتب ريـــاءً، فاتقى الله امرؤٌ صان دينه، وإن الرياء شرك))[2].

علاج الرياء:

إذا ما أراد العبد أن يخــرج من دائــرة الريــاء، فعليه أن يُقــرَّ بفضل الله عليــه، وتوفيقه لــه، وأن يخـاف مقت الله وغضـــبه عليه يـــوم القيامة وأن يطـــالع ما في نفسه من عيوب، تقصير فيعالج ما فيهـا، وأن يعـرف مـداخل الريـاء وخفاياه، فيتم له الاحتراز منها، وأن يكثر من العبادات غير المرئية، ويخفيها، ولا يذكرها لأحد، كقيام الليـل، والصـدقة سراً، والبكاء من خشـية الله تعـالى وأعماله مقبوله بـإذن الله تعالى.

أمور لا تعد من الرياء:

وحتى لا يتلبس على الإنسان في أعماله شــيء، فليعلم أن الأمور الآتية ليست من الرياء ومنها:

1_ثناء الناس عليه ومدحهم لعمله دون قصده.

عن أبي ذر قال: قيل لرســول الله : ((أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمـده النـاس عليـه؟ قـال: تلك عاجل بشرى المؤمن))[3].

2_ كتمان الذنوب:المـؤمن المخلص الصـادق هو الـذي يستر على نفسه، ولا يهتك سترها،

---

[1] (?) رواه مسلم 2/1513 ح1905 برقم 152 في الباب.
[2] (?) الترغيب للحافظ المنذري 1/72، 73 وقال:أظنه موقوفاً.
[3] (?) رواه مسلم 3/ 2034 ح2642 برقم 166 في الباب.

لأن الــذي يــذكر ذنوبه بحجة أن ذلك تــوبيخ للنفس، وتواضع، ليقال عنه أنه لا يزكي نفسه، فما ذلك إلا تلـبيس من إبليس لعنه الله.

عن أبي هريـرة قـال: سـمعت رسـول الله يقـول: ((كل أمــتي معافـاة إلا المجـاهرين، وإن من الإجهـار أن يعمل العبد العمل بالليل عملاً ثم يصــبح قد ســتره ربــه، فيقـول: يـافلان!! قد عملت البارحة كـذا وكـذا، وقد بـات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه[1].

فلا يظن أن كتمان الذنوب من الرياء.

3_ إظهـار الطاعـات:كالأعمـال التعبدية الـتي لا يمكن إخفاؤها مثل الحج، والعمرة، والصلاة

والجمعة، والجهاد، لأنه ربما قصد من إظهارها خـيراً فلا يعد ريـاءً. كـأن يقصد بـذلك تعليم جاهـل، أو الأخذ بيد لاهٍ غافل إلى طريق الله رب العالمين.

عن أنس قال:كان رسول الله يقول: ((الإسلام علانية والإيمان في القلب..))[2].

4_ تحسين الهيئـة: فالإسـلام دين الطهـارة، والنظافـة، والجمال، والمسلم يمثل أمتـه، ودينـه، ودعوتـه. فظهـوره بهيئة طيبة في أحواله كلها في حــدود لا تخــالف الشــرع ليس من الريــاء أو الكــبر.قـال رجـل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسـنةً، قـال: (إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق، وغمط الناس)[3].

دور المتابعة في الفاعلية

ســيرة الرســول نمــوذج عملي للحركة والعمل والفاعلية: قال الله تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَـلْ لَكُمْ نُـوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4].

---

[1] (?) رواه مسلم 3/2291 ح2990.

[2] (?) رواه أحمد في مسنده 3/134،135 من مسند أنس بن مالك وقال الهيثمي في مجمع الزوائد1/52:رجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين، وضعفه آخرون.

[3] (?) رواه مسلم 2/ 93 ح 91 برقم 147 في الباب.

[4] (?) الحديد: 28.

المـــؤمن التقي المخلص هو الـــذي لا يعـــرف الكسل لجسده طريقاً، فهو يسعى ويجتهد، ولا تتوقف حركته التي يبتغي من ورائها عز أمتــه، ورفع راية التوحيد مقتــدياً في ذلك بالنبي الذي يقول الله تعـالى عنـه: ﴿لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

وسنته الشريفة وسـيرته العطـرة فيها نمـاذج عظيمة تدعو إلى العمل، والفاعلية والحركة.

والله سـبحانه وتعـالى يـدعونا إلى العمـل، والبحث عن الرزق، في قوله تعـالى: ﴿فَامْشُـوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُـوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2].

وغير ذلك من الآيات: وإذا نظرنا إلى سـيرة الرسـول وسـنته لوجـدنا الكثـير الكثـير. فعن أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله : ((لأن يحتطب أحـدكم حزمة على ظهره خيرٌ من أن يسأل أحداً فيعطيعه أو يمنعه))[3].

وعن المقــداد رضي الله عنه عن رســول الله قــال: ((ما أكل أحدٌ طعاماً قط خـير من أن يأكل من عمل يـده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده))[4].

وقد عمل نبينا بحرفة رعي الغنم، وعمل بها من قبله الكثير من الأنبياء. وحدث هذا عندما بدأ الرسول يســتأنف حياة الكد والكدح، والعمــل، بعد عودته من رحلته التجارية من الشــام الــتي خــرج فيها مع عمه أبي طــالب. واختــار الرسـول حرفة الـرعي، الـتي كـان قد بـدأها مع إخته في بــني ســعد، تلك الحرفة الــتي تعلم منها الصــبر، والحلم، والأناة والرحمة، والرأفة، والعناية بالضعيف حتى يقوى.

عن أبي هريــرة رضي الله عنه عن النــبي قــال: ((ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصـحابه: وأنت؟ فقـال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة))[5].

وكان يسيراً على الله القادر على كل شيء أن يـرزق النبي في بداية حياته بما يساعده على الترف، والراحـة،

---

[1] (?) الأحزاب: 21.
[2] (?) الملك: 15.
[3] (?) رواه البخاري 3/9 كتاب البيوع باب الرجل وعمله بيده.
[4] (?) رواه البخاري 3/9 كتاب البيوع باب الرجل وعمله بيده.
[5] (?) رواه البخاري 3/48 كتاب الإجارة باب رعي الغنم على قراريط.

ومظـــاهر العيش المـــترف المنعم بما يغنيه عن الكـــد، والتعب، ورعاية الأغنام سعياً وراء الـرزق، حيث بـدا له ما يلاقيه عمه أبو طـالب من نصب بسـبب ثقل عيالـه، ولكن حكمة الله تعالى تقتضي أن نعلم أن خير مال الإنسـان ما اكتسبه بعناء، ولقاء ما يقدمه لمجتمعه من خدمات الخير، ويسـاعدهم فيـه. وأن شر المـال ما أصـابه الإنسـان وهو مســتلق على ظهـــره على فـــراش لين، لم يبـــذل فيه مجهوداً، ولم يقدم شيئاً ولو قليلاً ينتفع به مجتمعه.

وهكذا كانت حيـاة الرسـول ﷺ قبل البعثة بين العمل في التجـارة، ورعي الأغنـام، وبين مسـاعدة المجتمع الـذي يعيش فيه ليكون عنصراً فعـالاً مفيـداً لهـذا المجتمـع. أما بعد البعثـة، فتضـاعفت جهـود النـبي ﷺ وحركته لأنه أصـبح قدوة وأسوة للنـاس جميعـاً فها هو صـلوات الله وسـلامه عليه يشـــارك أصـــحابه في حفر الخنـــدق، يحمل معهم التراب على كتفه الشريف وكأنه يلبس ثوباً من تراب من كـثرة العمـل. ولما قـدم وفد النجاشي على رسـول الله ﷺ قام يخدمهم بنفسه، فقـال أصـحابه: نحن نكفيك يارسـول الله ﷺ فقال: ((إنهم كانوا لأصـحابي مكـرمين وأنا أحب أن أكافيهم))[1].

وهـذا يـدل على عظمة تواضـعه ﷺ وعلى حسن ضـيافته وعلى مشاركته في كل شـيء صـغر أو كـبر. والرسـول ﷺ يريد من أمته أن تكـــون أمة عاملـــة، فـــإذا به يعلمهم أن عليهم العمـــل، والأخذ بالأســـباب، أما النتيجة فعلى الله تعالى. يقول رسـول الله ﷺ : ((إن قـامت السـاعة وفي يد أحـدكم فسـيلة فـإن اسـتطاع أن لا تقـوم حـتى يغرسـها فليغرسها))[2].

والناظر لهذا الحديث من أول وهلة يتسـاءل إذا غرست هذه الفسيلة ومات الناس جميعـاً بعد قيـام السـاعة فمن سيستفيد منها؟ هنا يعلمنا الرسـول هـذا الـدرس العظيم، بأننا علينا العمل فقــط، وليس علينا تحصـيل النتـائج لأننا

[1] (?) البداية والنهاية 3/78.
[2] (?) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم 479 وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص181 برقم 371.

لسنا مطالبين بها.

وهكـذا كـانت حياته صـلوات الله وسـلامه عليه مفعمة بالفاعلية، والعمل والحركة، حياة كانت موزعة بين الدعوة لدين الله، وتبليغها، والجهـاد في سـبيل اللـه، والقيـام بين يدي الله في الصلاة ليلاً حتى تـورمت قـدماه وبين القيـام بأعبـاء بيته كـأب، وزوج ومـرب، يقـوم على خدمة أهله ويجالسـهم ويمـازحهم، فـإذا حضـرت الصـلاة خـرج إلى الصـلاة. وإن من فاعلية المسـلم أن يخالط النـاس ويأخذ بأيـديهم إلى طريق الحق ويسع صـدره لجهلهم. فيكـون واسع الأفـق، حسن التصـرف، يشـاركهم في أمـورهم التعبدية ولا يكـون في معـزل عنهم، أو في منـأى عن مسايرة العصر الذي يعيش فيه، فلا يكاد يدرك الحقائق أو البديهيات المسلَّم بها.

والرسول يقـول: ((المسـلم إذا كـان مخالطـاً للنـاس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الـذي لا يخالط النـاس ولا يصبر على أذاهم))[1].

لقد أمر الإسلام بزيـارة المـريض، وتشـميت العـاطس، ونصر المظلـوم، وصـلة الـرحم، وإبـرار المقسـم، وإجابة الداعي، واتباع الجنائز، فـإذا ما شـارك المسـلم في هـذه الأمور صار فعالاً في مجتمعـه، وحصل على الخـير، وأفـاد الناس بأخلاقه الطيبة، واسـتفاد ودهم، وحبهم لـه، وحظى برضا الله رب العالمين.

أما إذا اعتزلهم فمن أين يأتيه الخير؟

ولقد ربى الرسـول صـحابته على هـذه المعـاني العظيمـة، وحثهم على التفـاني في العمـل، ودعـاهم إلى الإخلاص في أعمالهم.

فهـذا أبو بكر الصـديق رضي الله عنه بمجـرد أن نطق بالشـهادتين بين يـدي رسـول الله وعلم ما عليه من واجبات تجاه هذا الـدين، وما له من حقـوق، انطلق يـدعو إلى دين الله، ويأخذ بيد الضال إلى طريق الله، لم يحصل

---

[1](?) رواه الترمذي 4/662، 663 ح2507 وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/306، 307 برقم 2035 وقال أبو عيسى: قال ابن أبي عدي: كان شعبة يرى أنه ابن عمر.

على الخير ويقصره على نفسه، بل دعا له، وأرشد إليه، فإذا به يسلم على يديه خمسة من العشرة المشهود لهم بالجنة[1].

وإن مما يساعد في إنجاز الأعمال، الدقة في تنظيم الوقت، ومحاسبة النفس في كل دقيقة، هل صرفت هذه الدقيقة في طاعة الله أم لا؟ والذي ينظر إلى تاريخ الصحابة، والتابعين، والسلف الصالح يرى كيف كانوا يعيشون، ويرى ما قدموه لهذه الأمة من أعمال جليلة في سنوات قليلة، ما ذلك إلا لتقواهم، ودقتهم في تنظيم أوقاتهم، ومحافظتهم عليها فسجلوا بذلك صفحات بيضاء في جبين التاريخ، فهم رهبان بالليل، فرسان بالنهار.

---

[1] (?) أسد الغابة 3/310.